

مستويات التحليل الأسلوبي (أسسه وإجراءاته)

Stylistic Analysis levels (Foundations and Procedures)

د. الطيب جبايلي

جامعة العربي التبسي، تبسة - الجزائر

tdjebaili60@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/09/04 تاريخ القبول: 2020/01/13 تاريخ النشر: 2020/03/30

ملخص البحث:

Abstract:

Stylistics is closely linked to linguistics since stylistic approaches are likely to be the same vein as linguistic approaches with specific regards to stylistic scope.

This study is based on the contributions of Saussurean structuralism to the field of language study. On the one hand, structuralism focuses on the internal relationships between the different components of a text. On the other hand, stylistics uses those relationships in text study.

The language of a text evolves in a closed cycle that stylistics tries to decompose in its final structures. Hence, this study highlights stylistic analysis levels (phonological; morphological and syntactic level) to shape the final structure of a text with its different aspects of language

Keywords: structuralism; stylistics; levels; language; discourse.

ترتبط الأسلوبية باللسانيات ارتباطا وثيقا، والحديث عن المناهج الأسلوبية هو في الوقت نفسه حديث عن المناهج اللسانية مع بعض الحصر في مجال الأسلوبية.

لهذا السبب أسس هذا البحث بالاعتماد على ما أفرزته البنيوية السوسيرية من تطورات في مجال البحث اللغوي، التي كانت تهدف إلى البحث عن العلاقات الداخلية التي تربط بين عناصر النص، في حين كان البحث الأسلوبي يبحث عن هذه العلاقات، ذلك أن لغة النص تشكل دائرة مغلقة يبقى على الأسلوب أن يحللها إلى بنياتها النهائية. ومن هذا المنطلق بحثنا في مستويات التحليل الأسلوبي (المستوى الصوتي المستوى الصرفي، المستوى التركيبي) لتشكيل هذه المستويات، في النهاية النص بجميع مكوناته اللغوية.

الكلمات المفتاحية: البنيوية؛ الأسلوبية؛ المستويات؛ اللغة؛ الكلام.

مقدمة:

إن الموضوع الذي خصه الباحث هو في الحقيقة إطلالة لتوضيح مجموعة من المعطيات التي ستسهل على القارئ الولوج في متطلبات البحث الأسلوبي والأخذ بالإجراءات المتبعة ورسم حدوده ، خاصة وأن الأسس العلمية المؤسسة متداخلة وغزيرة ومتشعبة، متداخلة من حيث الفترات التاريخية والزمنية التي أسست لهذا النمط التحليلي للنصوص الأدبية ، منذ أن تحول مفهوم البنائية من التجارب العلمية التي تعتمد الشكل أو التصميم الخارجي للأشياء إلى الميدان اللغوي باعتبار أن البنية اللغوية هي شكل خارجي للنص كاشفة للمحتوى الدلالي والتواصلية للنصوص بمختلف أجناسها ...

أما غزيرة فالأمر فيها يعود إلى طبيعة الأمور إذ أن كل جديد تشرئب له الأعناق بالشرح والتفصيل والنقد والتقييم بأوجه نظر مختلفة ومتباينة تكثر فيها الحجج والأدلة والبراهين...

و كونها متشعبة لأن الروافد والأطر التي أخذت منها الأسلوبية البنيوية قوامها كثيرة ومتعددة وما زالت الأقلام تتنافس على الوصول إلى تعريف موحد لهذا العلم وما زالت الإشكالات تطرح حتى هذا اليوم للوصول إلى الهوية الأولى أو قل البنية الأولى لعلم الأسلوب ، وأيُّ الأجناس أسبق في إرساء القواعد الأساسية التي ينطلق منها علم الأسلوب في التحليل الموضوعي للنصوص الأدبية ؟.

ولا تفوتنا الفرصة - هنا - أن نشير إلى الجدلية القائمة على سبيل الذكر بين البلاغة العربية والأسلوبية الغربية في توضيح السبق المعرفي لعلم الأسلوب .

فالعلماء العرب الذين أرجعوا الأسلوبية إلى أصلها البلاغي كثيرون وحسب آرائهم فالأسلوبية

الغربية لم تأت بالجديد، بما في ذلك مدارس جنيف وبراغ والمدرسة الشكلية الروسية ومدرسة شارل بالي الذين استمدوا أسس علم الأسلوب من المفاهيم البلاغية القديمة في حين أن الرواد الغربيين للأسلوبية البنيوية ينطلقون في تأصيلها إلى الدراسات العلمية السوسيرية وما انبثقت عنها من دراسات لغوية كثيرة ...

الأسس العلمية لمفهوم البنيوية .

إنَّ الدراسات العلمية للغة التي جاء بها دي سوسير (1857 - 1913 م⁽¹⁾) من منظور الفلسفة البنيوية ، كان ظهورها ضمن مجالات معرفية أسهمت بقدر وفير في ظهور المناهج الحديثة التي انتشرت بسرعة فائقة، تلقفها الباحثون شرحا وتفسيرا وتطبيقا ، فتم إثراؤها بأراء جديدة متطابقة أحيانا ومتباينة مرات أخرى تبعا لأفكار الباحثين واتجاهاتهم والأهداف المتوخاة منها والآليات الإجرائية المتبعة وكذا الميادين الأدبية المدروسة والنتائج المحصل عليها .

وجدير بالذكر أن نتعرض - كذلك - بالقول للشكلايين⁽²⁾ الروس والمجهودات الي بذلتها هذه المدرسة في التأسيس لكثير من النظريات للدراسات اللغوية بزعامه رئيسها " رومان ياكبسون " الذي >> كان مهتما حينئذ بالدراسات الخاصة بعلم الأجناس والفنون الشعبية ، ولكنه كان شديد الإنصات للنبض العلمي الذي ينبعث من أوروبا الغربية>>⁽³⁾ هذا علاوة على أن كثيرا من الفنون الأخرى استمدت قوامها من النظرية الشكلية الروسية .

>> فاستفادوا في علم اللغة مثلا من مبدأ النسبية وانتصارات علم الطبيعة الحديث وبنظرية الفنون التشكيلية ونموذج المذهب " الكوبي " الذي ينص

الإجراءات الأدائية تمارس بها مجموعة من العمليات التحليلية التي ترمي إلى دراسة البنى اللسانية في النص الشعري وعلاقات بعضها ببعض الآخر بغية إدراك الطابع المتميز للغة النص الشعري نفسه ، ومعرفة القيمة الفنية والجمالية التي تستتروا تلك البنى ...»^(٩) .

ومعنى هذا القول هو استبعاد الدراسة العلمية البحتة للغة التي دعت إليها اللسانيات ، إذ أن مؤسسي المدرسة الألمانية المثالية يرون بأن >>المبنى ليس مجرد كومة من الطوب والخشب والإسمنت والحديد بل هو تصميم من خلق الروح التي أرادته وتصويرته ونفذته ، فإن اللغة ينبغي أن تنظر إليها في علاقتها بالروح التي أبدتها أي في الأسلوب>>^(١٠) ولهذا فإن الدراسة المقصودة ترمي إلى تبيان وتوضيح مجموعة من الأهداف تميز اللغة وتبرز قيمها الفنية والجمالية وربطها بالدلالة السياقية للنص الأدبي ، ومدى تأثير المبدعين بالعوامل النفسية والاجتماعية المحركة للشعور والأحاسيس ، وهذا ما ذهب إليه مجموعة من اللغويين الفرنسيين الذين رفضوا >>إعتبار اللغة جوهرًا ماديًا خاضعًا لقوانين العالم الطبيعي الثابتة إذ أنها خلق إنساني ونتاج للروح البشري تتميز بدورها كأداة للتواصل ونظام من الرموز المخصصة لنقل الفكر في مادة صوتية لكنها ذات أصل نفسي اجتماعي>>^(١١)

ورغم أن اللغة ليست جوهرًا إلا أن الأسلوبية تبقى مرتبطة بما جاءت به اللسانيات في الثنائية القائمة بين اللغة والكلام ، فإذا كانت اللسانيات >>تُعنى باللغة التي هي مجموعة من الوحدات اللغوية والبُنى النحوية وجملة القواعد اللغوية ووظائفها>>^(١٢) ، فالأسلوبية تبحث عن الخصائص النوعية التي تميز نصًا أدبيًا متحققًا عن غيره من

على أن كل شيء يعتمد على العلاقة والتوقف المتبادل بين الجزء والكل وبين اللون والشكل>>^(١٤) كما تجلى تأثيرها واضحًا على الرسم والموسيقى والأدب، ومن هنا ركزت الحركة الكوبية على مرحلتين: التحليلية والتركيبية، فالتحليلية أرادوا بها >>القضاء على مبدأ المحاكاة ومشابهة الطبيعة لصالح العملية التركيبية التي تتم داخل وعي الفنان نفسه>>^(١٥).

وقد ميز " بارت " - كذلك - بين هذين الاتجاهين البنائية التحليلية^(١٦) التي يتزعمها " ياكبسون والتركيبية التي يتبناها " شومسكي " والبنائية عند " بارت " >>بأنها حل الشيء لاكتشاف أجزائه والوصول من خلال تحديد الفروق القائمة بينها إلى معناها...>>^(١٧) .

وجدير بالذكر أن البنائية التي رسمت كثيرًا من الفنون المختلفة بدأت تتضح معالمها في الدراسات اللغوية العلمية مع حلقة براغ^(١٨) حينما قامت طائفة من علماء اللغة جاءوا من كثير من البلدان الأوروبية (روسيا هولندا ألمانيا إنجلترا فرنسا) وقدموا جملة من المبادئ إلى علماء اللغة المنعقدين بلاهاي سنة 1928 معنونة بـ " النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية "... تدرجوا بعدها في دراسة المبادئ اللغوية إلى أن أنتجوا أول دراسة لغوية ممنهجة في تاريخ الأصوات اللغوية لتتوالى - بعد ذلك - مؤتمرات للصوتيات تبلورت في ثمانية أجزاء نشرت تباعًا حتى عام 1938 .

البنوية في مجال الدراسات اللغوية

ويتجلى - بعد هذه التوطئة - واضحًا أن مدرستي جنيف وبراغ برئاسة دي سوسيرورومان ياكبسون أسستا لمجموع الدراسات اللغوية التي ظهرت كعلم جديد يهدف إلى إرساء مناهج للدراسات الموضوعية >>بالاعتماد على مجموعة من

وتبقى الأسلوبية البنيوية كذلك بحاجة إلى توضيح لما فيها من تفرعات جزئية ونظريات متفاوتة، وعلى سبيل الذكر نجد مثلاً بلومفيلد (Bloomfield) زعيم المدرسة اللغوية الأمريكية يقول: <<إننا يجب أن نبدأ أية دراسة للغة ببحث الصيغ لا ببحث الدلالات>> (16).

ومعنى ذلك هو المضي من الكلمات إلى الفكر، بعكس ما ذهب إليه "شارل بالي" (1865 - 1947) مؤسس علم الأسلوب إذ يؤيد الاتجاه الذي يبدأ من داخل المعنى بحثاً عن الصيغ الخارجية التي تؤدبه.

كما أنه - شارل بالي - استبعد الدراسة الأدبية عن دائرة علم الأسلوب، لأن اللغة الأدبية حسب رأيه <<هي شكل التعبير الذي أصبح تقليدياً، إذ أنها بقايا ونتائج لجميع الأساليب المتراكمة عبر الأجيال والعصور في رصيد مشترك يختلف عن اللغة العفوية

العادية... في حين أن اللغة اليومية الساخنة فإنها تفعل ذلك لتبرز التضاد الذي يقوم بينها وبين المستوى الأدبي ولتنتج بهذا تأثيراً طريفاً أو ساخراً...>> (17).

ومعنى هذا أن شارل بالي يقصر موضوع علم الأسلوب على لغة جميع الناس بما تعكسه من عواطف ومشاعر واندفاعات وانفعالات أما اللغة الأدبية فهي مفعمة بالعناصر التراثية مما يجعلها لا تختلط باللغة المستعملة.

إن مضمون ما ذهب إليه شارل بالي في التأسيس لعلم الأسلوب هو الانطلاق من الفكر إلى اللفظ، ثم استبعاد اللغة الأدبية المعتمدة في النصوص الأدبية، بعكس ما ذهب إليه كل منبالي و برونو " و"كريسو" اللذين اتخذوا موقفاً عكسياً

النصوص الأدبية، ولذا فهي تُعنى بما هو منفذ ومنجز، أي أنها تعنى بالنص الذي يرتبط من ناحية تحققه بالكلام <<ولهذا فإن الأسلوبية تفكك ثنائية دي سوسير ولا تعنى إلا بطرف من طرفيها وهو الكلام>> (13).

المنهج الأسلوبي البنيوي

التصنيفات العديدة للأسلوبية يحتم علينا تحديد الصنف الأسلوبي قصد التعامل معه وفق المنظور الذي يضبط الطرائق والآليات الإجرائية حتى لا تنحرف الدراسة عن مسارها خاصة وأن هذه التصنيفات بنيت وفق ثنائيات متعاكسة ومتباينة في الشكل والأداء، يقول حسن ناظم <<... فإن ثمة تصنيفات عديدة أخرى تضع الأسلوبيات في جدولة ثنائية تقابل بها بين (أسلوبية الأشكال) و (أسلوبية الأغراض) وبين (أسلوبية تعبيرية) و (أسلوبية الفرد). وهناك تصنيفات أخرى مثل (أسلوبية وصفية) و (أسلوبية وظيفية) و (أسلوبية تكوينية) و (أسلوبية كمية) (14).

كما برز تصنيف آخر وهو ما يسمى بالأسلوبية النفسية وهي التي <<تنطلق من العمليات النفسية العامة مثل التلطيف والإلحاح والتجريد للوصول إلى الوسائل التعبيرية في اللغة>> (15).

واعتماد المنهج الأسلوبي البنيوي، يُتوخى منه الوصول إلى مجموعة من الأهداف العامة المتعلقة بالطابع المميز للغة، ووصف نظامها من حيث الثبوت والتحوّل والاستعمال والتطور وكذا قدرتها وفعاليتها في بلورة الأفكار والصور والأحاسيس. كما يستطيع هذا المنهج إبراز السمات الأسلوبية الخاصة بشاعر أو أديب دون غيرهما، ثم التحقق من مدى تطبيق الآليات الإجرائية وما هي الأدوات التي يمكن استغلالها للوصول إلى هذا الهدف.

يوجه أي اهتمام ثانٍ للملامح والخواص الأسلوبية ، فالبحث الأسلوبي ليس عملية برهنة رياضية على مقولات مسبقية >> (21).

والتذوق الشخصي يبقى جزئياً ، حتى لا يتحول التحليل الأسلوبي إلى عملية شخصية يصل من خلالها كل باحث إلى النتائج التي يجدها دون التحقق من صحتها أو زيفها اعتماداً على مجموعة من المعايير العلمية .

التذوق الشخصي للدارس - هو من وجهة نظر أخرى- هو المتلقي الذي يرتبط أساساً بالمؤلف برابط هو النص .

ولهذا أولى المنظرون والدارسون لعلم الأسلوب عناية كبرى بهذه العناصر الأساسية التي لا يمكن لأي دارس أسلوبي أن يتخلى عن إحداها لأنها تتكامل فيما بينها ، ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يدرس كل عنصر على حدة .

لهذه الأسباب فكل الدارسين خصصوا شروحات مطوّلة وتفسيرات منطقية عبّر عنها كل دارس بطريقته الخاصة .

فعبد السلام المسدي فسرها بالمصادرات الثلاثة ، إذ يقول : >> وإذا فحص الباحث ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي وشقّه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية ، اكتشف أنه يقوم على ركح ثلاثي دعائمه هي المخاطب والمخاطب والخطاب >> (22) .

وهذه العناصر الثلاثة وثيقة الصلة بنظرية الإبلاغ التي استمدت أصولها من نظرية الإخبار التي تأسست سنة 1949 على يد المنظر شانون (shannon) (23) والتي توضح على أن كل عملية تخاطب >> تقتضي جهازاً أدنى يتكون من باثٍّ ومتقبِّلٍ وناقلٍ >> (24)

وبين الباثِّ والمتقبِّل تكون عمليتي التركيب والتفكيك للنص الناقل الذي هو حبل التواصل بين اللأفْظ والمحتضن . كما أن فتح الله أحمد سليمان يحدّد

باعتماد العمل الأدبي مجالاً لعلم الأسلوب لأن >> العمل الأدبي إنما هو شكل من أشكال التواصل أيضاً ، والعناصر الجمالية فيه مردّها إلى رغبة المؤلف في جذب القارئ وإمتاعه والأدب يتيح لعلم الأسلوب مادة ضرورية لإحصاءاته وإجراءاته التجريبية >> (18) .

آليات التحليل الأسلوبي

في ظل هذه المواقف تبرز إشكالية أخرى مفادها أن القضية في جوهرها لا تتعلق باللفظ والمعنى ، وإنما بالأدوات الأسلوبية وبالأثر الناجمة عنها ، إذ أن الأدوات الأسلوبية قد تنتج عنها آثار كثيرة ، >> فالوسيلة الواحدة يمكن أن تؤدي إلى نتائج مختلفة وتأثيرات متباينة ، كما أن التأثير الواحد يمكن أن يتم بوسائل متعددة >> (19)

والفصل في هذه القضية يفرض الانطلاق من الشكل وليس من الدلالة بالتركيز على المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية .

التحليل الأسلوبي - زيادة على ما سبق ذكره - يشترط مجموعة من المعطيات الأساسية التي تدخل ضمن الإجراءات التحليلية بغية الوصول إلى مجموع الأهداف المتوخاة التي ينشدها الدارس كالتعرّف على وسائل التعبير وتحديداتها وتصنيفها ومن ثمة تنميطها (20) . فدراسة عمل أديب واحد يختلف عن عمل مجموعة من الأدباء ، ودراسة هؤلاء الأدباء تختلف من حيث انتمائهم إلى مدرسة أدبية أو حركة موحّدة أو عصر متميز ، إذ يشترط في ذلك مراعاة اختلاف أنظمة ومستويات اللغة وبالتالي اختلاف الإجراءات التحليلية .

يضاف - إلى هذه المعطيات - التذوق الشخصي لدى الدارس يقول " كايسر " >> على من يتصدى للبحث في أسلوب عمل أدبي معين أن يترك هذا العمل يمارس تأثيره الشامل العميق عليه ، دون أن

ومن البنائية استمد دارسو اللغة نظرياتهم لتبرز مجموعة من المدارس الفاعلة في هذا المجال أبرزها مدرسة جنيف التي تضم مجموعة آراء دي سوسير في التنظير للدراسة العلمية للغة ثم مدرسة براغ التي يتزعمها رومان ياكبسون وهو في الوقت نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية والتي كان تأثيرها - فيما بعد واضحا - في ظهور علم الأسلوب عن طريق شارل بالي زعيم المدرسة الفرنسية .

مستويات التحليل الأسلوبي

1- المستوى الصوتي

يعد الصوت المادة الأولى لتشكيل الإيقاع اللغوي ، نظرا لما يمتلكه كل صوت من صفات تنغيمية تتعلق بأسلوب النطق ومخارج الحروف ، وفي الوقت نفسه ، فإن أهمية الصوت لا تقتصر على الناحية التنغيمية الخاصة به ، وإنما يتجلى أهميته في مقدرته على التميز عن غيره من الأصوات ، فرنة الصوت ليست إلا دعامة للاختلاف .

وتظهر علاقات الجوار بين الأصوات في أجمل صورها في اللغة الشعرية ذلك أنه >> يطلب من الكلام في النظم أن يكون من نسيج لفظي ارق من نسيج النثر الذي يُقرأ دون كثير من الاهتمام المدقق ، وهو يستعين على تحقيق هذا الطلب بدقائق النبر والإنشاد التي يستطيع الشعر وحده أن يسيطر عليها >> (28) .

والدليل على ما سبق ذكره هو استحالة ترجمة الشعر إلى شعرا ما يؤكد أهمية الجانب الصوتي الذي تفقده القصيدة تماما بانتقالها إلى لغة أخرى . ومن هنا >> فالشعر يستطيع أن ينقل قبل أن يفهم ؛ أي يستطيع أن يؤثر في الأذن عن طريق العمق في سحره الصوتي ، فهو يستطيع أن يبدأ التأثير فينا

مفهوم " الأسلوب " من هذه المنطلقات نفسها وهي المنثني ، النص ، والمتلقي (25) .

وتحديد مفهوم الأسلوب حسب هذه المعطيات وضحاها الكاتب كالآتي :

- من منظور المنثني : إن الأسلوب يعبر تعبيرا كاملا عن شخصية صاحبه ، بل ويعكس أفكاره ويظهر صفاته الإنسانية .

- أما من زاوية النص فإنه يعتمد على فكرة الثنائية اللغوية القائمة بين اللغة والكلام هذا الأخير الذي ينقسم بدوره إلى قسمين هما : الاستخدام العادي للغة ، ثم الاستخدام الأدبي لها .

- أما المتلقي فدوره مهم في العملية الإبداعية ، لهذا على المنثني أن يأخذ بالحسبان مجموعة من العوامل الأساسية المتعلقة به كحالته النفسية والاجتماعية ومستواه الثقافي وجنسه وعمره .

ويقول الكاتب في هذا المجال >>: على المنثني أن يثير ذهن المتلقي حتى يحدث تفاعلا بينه وبين النص ، واستجابة المتلقي ورفضه هما المحك في الحكم على مدى حدوث هذا التفاعل >> (26) .

إن البنائية التي أسست لعلاقة متينة بموضوع البحث الأسلوبي ، إذ أن البناء يقصد به ربط الأجزاء اللغوية بوسائل تعبيرية تشكل في النهاية السياق العام للنص الأدبي .

وقد أورد مصطفى السعدني قوله : >>البنية هي النظام المنسق الذي تتحد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف ، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل >> (27) .

اللغوي فإنهما يكونان على مستوى الشكل والمضمون في السلوك اللغوي .

وتعد محاكاة الأصوات للمعاني خصوصية لغوية ، وإن كانت المحاكاة لا تصور الشئ الموصوف تصويرا دقيقا ، وإنما تنقله لنا من خلال التصوير الكلي .

ويتمثل دور التشكيل اللغوي العضوي في أنه يقوم بمحاولة تحويل السمات العامة للظاهرة إلى أصوات لغوية تؤثر في فهم المعنى وتحديدده ، وتكون محصلة تلك المحاكاة هي: >> الإحساس الجمالي الحركي والتخيل الجمالي الحركي <<⁽³³⁾ .

إن الدراسة الصوتية صارت تمثل مكانة مهمة سواء أكانت الأصوات مكتوبة على صفحة تُرى بالعين ، أم كانت تتعلق بما ينتجه المتكلم من أصوات ، وكل ذلك أصبح محطاً للدراسات الحديثة في محاولة للكشف عن بنية النصوص الأدبية .

ب - المماثلة

تؤدي الحروف دورا مهما بوصفها التشكيل الأول للإيقاع ، فكل حرف يحمل صفات خاصة ومستقلة ، وحين تتجاور الحروف فإنه يؤثر بعضها في بعضها الآخر نتيجة الاحتكاك والامتزاج والتماس بينها . ومن هنا تحمل الحروف صفات جديدة لم تكن موجودة في كل حرف على حدة ، فيتكون بذلك نسيج صوتي جديد هو ناتج تلك الحروف المتواصلة وتتجلى في صفات الأصوات ظواهر متضادة تتقابل فيها صفات قوية وأخرى ضعيفة ، وهذا الازدواج في صفات الأصوات يظهر جليا في المقابلات بين الهمس والجهر ، والشدة والرخو والاستعلاء والانخفاض ، والانفتاح والإطباق ، والانزلاق والإصمات .

إن عناية كل من الخليل وسيبويه وابن دريد وابن فارس وابن جني والجاحظ وفخر الدين الرازي بالدلالة الصوتية ، يقطع بأهمية الدلالة الصوتية

بالحركة قبل أن تتوصل عقولنا إلى أن تعرف ماهية ما تحس به <<⁽²⁹⁾ .

فالقصيدة منظومة لغوية تُراعي الناحية الصوتية التي تبثها أصوات الكلمات بما تحدثه من جرس صوتي يثير في النفس كوامنها . بيد أن هذا لا ينفى أن الصوت يحمل في جوهره معناه ، وذلك >> لأن أصوات الكلمات ، كما هو واضح ، تشكل كلمة كان قد حمل معنى تلك الكلمة قرونا طويلة حتى لم يعد بالإمكان استعماله في قصيدة دون أن يُوحى بذلك المعنى المعين . فلكي تفقد المعنى يجب أن تفقد الكلمة <<⁽³⁰⁾ .

وهنا تتدخل علاقة الكلمة بما يسبقها ويتلوها من كلمات ، وكذلك علاقتها بالسياق النصي الذي يبرز معنى الكلمة المختلف عن معانيها الأخرى في سياقات أخرى . وعلى هذا الأساس فإن الكلمة ليست وسيلة لأداء المعنى وتوصيله فحسب ؛ وإنما تجسّد صوتا يحمل معنى ، وهذا يعني أن الشعر ليس >> هو المجال الذي تخلق فيه رموز الأصوات وأثارها وإنما هو المنطقة التي تتحوّل فيها العلاقة بين الصوت والمعنى من علاقة خفيفة الى علاقة جلية تتمظهر بالطريقة الملموسة جدا والأكثر قوة <<⁽³¹⁾ . وبالتالي فلا يوجد صوت دون معنى ولا معنى دون صوت يرمز إليه وتتجلى الدلالة الصوتية في جانبين مهمين هما :

أ - المحاكاة (موسيقى الصوت المعزول عن الإطار الدلالي الموسع) .

والمحاكاة الصوتية – باعتبارها ظاهرة صوت دلالية - تعد كما يقول أولمان >>نوعا من التوافق بين العلامة اللغوية ومعناها <<⁽³²⁾ ، مما يكسب هذه العلامة وظيفتها التأثيرية .

وانطلاقا من كون التشاكل والتباين مبدأين عامين يشملان كل أنواع السلوك ومنها السلوك

- مشاركة الحركات الجسمية في الدلالة .
 - الحركة سواء أكانت مصاحبة لأصوات الكلمة ، أو تقع على أواخر الكلم - علامات الإعراب - تعد جزءا من الوحدات الصوتية التي تشارك في الدلالة .
 - يلعب المقطع الصوتي دورا بارزا في معني الكلمات كما أن طوله وقصره يؤثران تأثيرا واضحا في الدلالة.
 - النبر - نبر الكلمة ، النبر الصرفي ، نبر الجملة - وهو الأداء الصوتي للكلمات في الخطاب المقروء أو المنطوق ارتباطا بالسياق الدلالي.
 - التنغيم وهو ارتفاع وانخفاض واعتدال الصوت للدلالة على أمر نسبي يتطلبه المعنى المراد من السياق اللغوي.
 - المفصل (الوقفة) ويتبين ذلك في الأداء الصوتي في الوقفات أو السكّنات بين الكلمات التي تبين علامات الإعراب (35).
- 2 - المستوى الصرفي
- علم الصرف (morphologie) هو العلم الذي يحدد الأبنية المختلفة للكلام ، وما يشتق منه كأبواب الفعل وتصريفه ، وتصريف الاسم ، وأصل البناء (الفعل أو المصدر) والمصادر بأنواعها ، والمشتقات (36)
 - ولكل بناء دلالة في المعنى إلى جانب وظيفته التركيبية وتحديد شكل البنية التي يقوم على المعنى المراد ، فالمتكلم يقوم بتصريف الكلمة الأصلية بزيادة أو نقصان من زمان إلى زمان فكلمة " الضرب " تتحول إلى بنيات مختلفة فيبنى >> للماضي منه ضَرَبَ ، وللحاضر "يَضْرِبُ" ، وللمستقبل " سَيَضْرِبُ " وللأمر " اِضْرِبْ " ، وللنهي " لا تَضْرِبْ " ، وللفاعل " ضارب " ، وللمفعول " مضروب "
- في النص الأدبي >> أن اللبنة الأولى لدراسة الدلالة الصوتية للنص الأدبي تنطلق من دراسة الصوت اللغوي وفهم أبعاده ومعايير الدلالية >> (34) .
 - وتوضيحا لمجمل هذه الظواهر الصوتية التي أقرها العلماء و المتعلقة بدلالة الصوت والتي سنعمل بمقتضاها نذكر ما يلي :
 - إن أثر الصوت في دلالة الكلمة لما يؤديه من فروق في الدلالة بين الكلمات.
 - يؤدي اختلاف الصوت في الكلمة لاختلاف دلالتها.
 - الكلمات التي تشتق من جذر واحد بينها صلة معنوية ترتبط بأصل المعنى الذي وضعت له .
 - اختلاف ترتيب أصوات الكلمة يعقبه اختلاف في معناها.
 - اختلاف الصيغة الصرفية وموضع الكلمة في التركيب والسياق الذي تأتي فيه وعلاقتها بما جاورها من لفظ تؤثر في اختلاف وانتقال المعاني.
 - كل زيادة في اللفظ تؤدي إلى زيادة في المعنى .
 - مجئ الأصوات القوية التي يقع خلال نطقها انفجار هوائي مثل الدال ، والطاء والضاد ، والباء ، في كلمة يوقع دويا صوتيا عاليا يعزز من دلالتها .
 - المقاطع العنقودية الطويلة والقصيرة تقوي الدلالة وتدعمها
 - التكرار في الأصوات يكون للمبالغة وقوة المعنى .
 - رفع الصوت وعلوه أو طوله وارتفاعه (التطريح)
 - تذبذب الصوت علوا وانخفاضا واعتدالا (التطويح)
 - التفخيم بمنح الصوت قيمة صوتية أكثر مما هو عليه أو تغليظه .

ولتفسير هذا القول فإن السوابق هي حروف المضارعة (أ، ن، ي، ت) التي تغني عن ذكر الفاعل لفظاً لأنها دلت عليه، كما دلت على زمن الحدث في الفعل وهو المضارع.

كما تدل السوابق على معاني في الأسماء مثل دلالة الميم في مفعول، فالميم بالفتح في "مذهب" تدل على المصدر الميمي والميم بالكسر تدل على اسم الآلة في "مئزر".

أما اللواحق: فهي التي تلحق بآخر البناء مثل ياء النسب في عربي.. جزائري، ومثل علامة التثنية والجمع.

الدواخل: هي التي تدخل بين الأصوات التي تؤلف بنية الكلمة مثل الألف في اسم الفاعل والواو في اسم المفعول والياء في الصفة المشبهة التي تأتي على وزن فاعيل مثل: حكيم، عليم سميع.

3 - المستوى التركيبي

إذا كان الجانب الصرفي معنياً بدراسة المفردات، فالجانب التركيبي معنياً بدراسة الجمل، وذلك لأنّ المفردات إن لم تنتظم في جمل ذوات روابط لم تستطع أن تعبر عن تفكير منظم. ومن المعروف أنّ تفكير الإنسان وتعبيره مرتبطان بالعادات اللغوية، أي أنّ بناء الجمل يتم وفق عادات تفرضها لغة المجتمع على الفرد.

ومع أننا: <<نفكر بجمل>> (40) كما يقول "فندريس"، فإننا لا نتوقف لنفحص ما يجري في الدماغ من عمليات عقلية معقدة إلاّ حينما نتعلم لغة أجنبية، يختلف فيها بناء الجمل عمّا ألفناه في لغتنا العربية. فما الجملة؟ وممّ تتألف؟ يلتقي المنطق والنحو في تعريف الجملة، ويختلفان في المصطلحات.

يقول المنطقة: <<كلّ مفردين تجري بينهما نسبة موجبة أو سالبة فأحدهما موضوع والاخر محمول،

وللمكان "المضرب" وللزمان "المضرب"، وللآلة "المضرب" و"المضرب"، ولتهيؤ الفعل من ذاته "اضطرب" وللتكثير منه "ضرب" وللتكلف "تضرب"، وللمقابلة بين اثنين يفعل كل واحد منهما بصاحبه مثل ما يفعل الآخر "تضارب"، وللطلب "استضرب" الى غير ذلك من الأمثلة المختلفة>> (37)، وتنقسم الوحدات الصرفية ذات الدلالة إلى نوعين:

النوع الأول: الأوزان الصرفية المتعامل بها في مجال علم الصرف.

النوع الثاني: اللواحق - السوابق (prefixes) واللواحق (suffixes) والدواخل (infixes)

وهذه اللواحق تدخل في وسط الكلمة لتحقيق معان أو تشارك في الدلالة وقد فسّر ابن جني ذلك في "باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني" بقوله: <<ويدلّك على تمكّن المعنى في أنفسهم وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة، وذلك لقوة العناية به، فقدّموا دليله ليكون ذلك أمانة لتمكنه عندهم. وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في أول الفعل، إذ كنّ دلّائل على الفاعلين: مَنْ هم وماهم، وكم عدّتهم نحو أفعّل، ونفعل، وتفعل، ويفعل>> (38).

أما وسط وآخر الكلمة يقول ابن جني: <<وعلى هذا حشّوا بحروف المعنى فحصّنها بكونها حشّوا، وأمنوا عليها ما لا يؤمّن على الأطراف، المعرضة للحذف والإجفاف. وذلك كألف التفسير وياء التصغير نحو دراهم، ودُرّهم، وقماطر، وفميطر... فقد نجد حرف المعنى آخر كما نجده أولاً ووسطاً وذلك تاء التأنيث وألف التثنية وواو الجماعة على حدّه، والألف والتاء في المؤنث، والفا التأنيث في حمراء وبابها وسكري وبابها وياء الإضافة كني>> (39).

إحداهما أكبر من الأخرى ، فتكون الصغرى خبرا لمبتدأ الكبرى مثل : التعليم غايته التفهيم .

وخلاصة القول في تركيب الجملة أنها مسند ومسند إليه . فإن أحببت أن تزيد عليهما ألفاظا تكمل المعاني كالمفاعيل والظروف كان لك ذلك ، غير أن هذه الفضلات مهما كثرت لا تصنع جملة أخرى ، ولا تجعل الجملة الواحدة جملتين .

وعلى هذا الأساس الإسنادي قد تجد في كلام العرب جملة من حرف واحد كقولك لمن تطلب منه الوفاء " فـ " فهذه الفاء من أصل الفعل (وفي) أي المسند ، وأنت الفاعل المستتر هو المسند إليه .

وتنقسم الجملة العربية إلى جملة فعلية وجملة اسمية وجملة شرطية وجملة ظرفية فإن بدأت بالفعل وأتبعته الفاعل فالجملة فعلية ، وإن أخرت الفعل وقدمت المسند إليه انقلبت الصورة اللفظية إلى جملة اسمية وبقي المعنى ثابتا .

والجملة الفعلية موضوعة لإفادة التجدد والحدوث في زمن معين ، كما تفيد الاستمرار التجديدي شيئا فشيئا بحسب المقام ، وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع⁽⁴⁶⁾ بشرط أن يكون الفعل مضارعا .

أما الجملة الاسمية فإتّها تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ، دون نظر إلى تجدد ولا استمرار . وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن كأن يكون الحديث في مقام المدح ، أو في معرض الذم كقوله تعالى : (إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فسياق الكلام في معرض المدح دالّ على إرادة الاستمرار مع الثبوت .

والجملة الإسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ، ولا الاستمرار بالقرائن إلا إذا كان خبرها مفردا أو جملة اسمية ، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإتّها تفيد التجدد .

ومجموعهما مع النسبة بينهما قضية . والموضوع في الجملة العربية يأتي مبتدأ أو نحوه إذا كانت الجملة اسمية ، ويأتي فاعلا أو نحوه إذا كانت الجملة جملة فعلية . وأما المحمول فهو الركن الثاني من ركني الإسناد ، وهو الخبر أو ما يقوم مقامه في الجملة الاسمية ، أو الفعل أو ما يقوم مقامه في الجملة الفعلية . وأما بالنسبة بين الموضوع والمحمول فتدلّ عليها حركة الإعراب وهيئة تركيب الجملة⁽⁴¹⁾ .

ويقول النحاة بلسان ابن هشام : <<اللفظ المفيد يسمّى كلاما وجملة>>⁽⁴²⁾

<<ونعني بالمفيد ما يحسن السكوت عليه ، وأنّ الجملة أعمّ من الكلام ، فكلّ كلام جملة ولا ينعكس>>⁽⁴³⁾ .

ومما ذكر يتبيّن أنّ الكلام والجملة <<ليس مترادفين كما يتوهم كثير من الناس>>⁽⁴⁴⁾ .

ويقول مازن المبارك في توضيح كلام ابن هشام : <<وأما الجملة عند جمهور النحاة فتعبر صناعي ، أو مصطلح

نحوي لعلاقة إسنادية بين اسمين ، أو اسم وفعل ، سواء أتمت الفائدة بها أم لم تتم ، ولذلك فهي أعمّ من الكلام ، والكلام اخصّ منها>>⁽⁴⁵⁾ .

فإن قلت : " النحو مفيد " ، فقد أسندت الإفادة إلى النحو ، وهذا الإسناد يجعل الكلمتين جملة ، وهما في الوقت نفسه موضوع ومحمول ، وهما أيضا كلام لأنهما مفيدان فائدة يحسن السكوت عليهما .

وإذا قلت : " إن يفد النحو " ، فقد أسندت " يفد " إلى النحو ، فالإسناد جعل الكلمتين جملة لكن الفائدة لم تتم بهما فهما ليسا بكلام . ولعلّك لاحظت أن الجملة تكون اسمية كالمثال الأول ، وتكون فعلية كالمثال الثاني ، وقد تكون مركبة من جملتين

أنّ " في الدّار " جملة ، وهي المقصودة بالظرفية ، لأنّ الفعل " استقرّ " حذف قبلها ، وأضمر فيها فانتقل الضمير من الفعل إليها ، والتحقيق أنّ الجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف " كائن " .

الهوامش والإحالات:

- 1- محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء - المغرب - ط 1 ، 1980 ، ص 15
- 2- المدرسة الشكلية تعدّ الرافد الثاني من روافد الدراسات اللغوية بزعامة رائدها رومان ياكسون ، والتي ولدت من أرحام حلقة موسكو اللغوية التي أسسها مجموعة من طلبة الدراسات العليا عام 1915 لتتطور - فيما بعد - إلى جمعية لدراسة اللغة الشعرية تسمى أبوجاز Opojaz >ينظر: كتاب نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ط) .
- 3 - ، صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مكتبة نجلو المصرية (د.ط.ص 45
- 4- المرجع نفسه ص 52
- 5- المرجع نفسه ص 54
- 6- تم استخدام مصطلح البنائية في بداية الموضوع تماشياً مع بعض ما أورده مجموعة من الباحثين حينما كان مصطلح البنائية (constructisme) يعني الجانب العلمي المحض بعيداً عن الدراسات اللغوية ... بعدها انتقل المصطلح إلى البنيوية (structuralisme) للدلالة على الدراسات اللغوية .
- 7- المرجع نفسه ص 53
- 8- صلاح فضل ، نظري البنائية في النقد الأدبي ص 54

ومن خلال إحصاء الجمل العربية وقياس الاسميّة إلى الفعلية أنّ الفعلية أشيع ، وأجلّ شأنًا لأنها أحفل بالمعاني . ولعلّ كثرة الجمل الفعلية هي الدليل على أصالتها ، وعلى فرعية الجمل الاسميّة ، ولذلك يذهب بعض المشتغلين بعلم المعاني إلى أنّ بين الجمل الاسميّة جملاً محوّلّة عن جمل فعلية . فقولك : " الحق ظهر " محوّلّة عن : " ظهر الحق " . والجمل الاسميّة المحوّلّة عن الجملة الفعلية هي تلك التي صدرها اسم وعجزها فعل ، أمّا التي صدرها وعجزها من الأسماء الخالصة كقوله تعالى: (الله نور السموات والأرض) (47) فهي غير محوّلّة ويسمى أحد المستشرقين بالجملة الاسميّة المحضة .

أمّا الجملة الشرطية : هي التي تصدرها أداة شرط وقد فسّرها ابن يعيش في قوله : >>فهذه الجملة ، وإن كانت من أنواع الجمل الفعلية ، وكان الأصل في الجملة الفعلية ان يستقل الفعل بفاعله ، نحو: " قام زيد " ، إلّا أنّه لما دخل ههنا حرف الشرط ربط كل جملة ، من الشرط والجزاء ، حتى صارتا كالجملة الواحدة ، نحو المبتدأ والخبر . فكما أنّ المبتدأ لا يستقلّ إلّا بذكر الخبر ، كذلك الشرط لا يستقلّ إلّا بذكر الجزاء . ولصيرورة الشرط والجزاء كالجملة الواحدة ، جاز أن يعود إلى المبتدأ منهما عائد واحد ، نحو : زيدٌ إن تُكرّمه يشكركُ عمرو ، فالهاء في " تَكرّمه " عائدة على زيد . ولم يعد من الجزاء ذكر . ولو عاد الضمير منهما جاز ، وليس بلازم نحو: زيدٌ إن يَقرّمه أكرّمه . ففي : " يَقرّم " ضمير من زيد وكذلك الهاء في : " أكرّمه " تعود إليه أيضاً >> (48)

وذكر النحاة جملة رابعة أسموها " الجملة الظرفية : وهي المصدّرة بظرف أو جار ومجرور ، قبل اسم مرفوع على الفاعلية ، وقد مثّل الزمخشري للجملة الظرفية بقوله : " خالد في الدّار " وهو يريد

- 9- حسن ناظم ، البنى الأسلوبية " دراسة في "أنشودة المطر" للسياث " (د.ط) ص 30
- 10- صلاح فضل ، علم الأسلوب ، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 2، 1985 ص 10
- 11- المرجع السابق ص 10
- 12- حسن ناظم ، البنى الأسلوبية " دراسة في "أنشودة المطر" للسياث " (د.ط) ص ص 23
- 13- المرجع نفسه ص 26
- 14- حسن ناظم ، البنى الأسلوبية ص 23
- 15- صلاح فضل، علم الأسلوب والنظرية البنائية ، دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، المجلد الأول ط 1 2007 ، ص 178
- 16- المرجع نفسه، ص 178
- 17- صلاح فضل علم الأسلوب والنظرية البنائية، ص 20
- 18- المرجع نفسه، ص 32
- 19- علم الأسلوب والنظرية البنائية ، صلاح فضل ، ص 178
- 20- أنماط نوعان :
أ – أنماط تعبيرية وتشمل بدورها جانبيين: أحدهما وسائل التعبير النحوية (صوتية وصرفية ونحوية ودلالية) أما الثاني فهي وسائل التعبير التي تتجاوز النطاق اللغوي (الوصف والقص وصيغ الشعر)
ب – أنماط القول وحالات اللغة : وهي مجموعة من العادات الجمالية المشتركة والمواقف الخاصة في التواصل
- 21- صلاح فضل (علم الأسلوب والنظرية البنائية ص 188
- 22 - عبد السلام المسدي ، الأسلوب والأسلوبية ، ، الدار العربية للكتاب ط 2، 1982 ، ص 61
- 23 - هو : (Claude Elwood Shannon) المولود بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1916 والمتوفى سنة 2001 ، مؤسس نظرية الإخبار (la théorie de l'information).
- 24- المرجع نفسه ص 62
- 25- فتح الله أحمد سليمان ، الأسلوبية " مدخل نظري ودراسة تطبيقية " ، ، مكتبة الآداب القاهرة (د.ط) 2004 ، ص 7
- 26- المرجع نفسه ص 8
- 27- مصطفى السعدني ، المدخل اللغوي في نقد الشعر " قراءة بنيوية " ، منشأة الناشر المعارف بالاسكندرية (د.ط) ص 12
- 28 - هو ، غراهام : 1973 م – مقالة في النقد ، تر: محي الدين صبيحي ، مطبعة جامعة دمشق ، ص 126
- 29 - ف. امائيسن 1965 م ت.س. إليوت الشاعر الناقد ، تر: إحسان عباس ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ص 173
- 30 مكليش . أرشيبالد : 1963 م ، الشعر والتجربة ، تر : سلى الخضراء الجيوسي ، دار اليقظة العربية ، بيروت ص 27
- 31 - ياكبسون . رومان : 1988 م ، قضايا الشعرية ، تر محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، المغرب ط 1، ص 54
- 32 Ulmann, stephen, meaning and styles oxford (1973)-
- 33 - نقلا عن محمد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، دار الحقوق – القاهرة 1987 ص 11
- 34 - مراد عبد الرحمن مبروك ، من الصوت الى النص ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – مصر – ط 1 ، 2002 ص 27
- 35 - المرجع السابق ص 35
- 36 - - اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، افعال التفضيل ، اسما الزمان والمكان ، اسم الآلة – والتصغير والنسب
- 37 - ينظر : أبو عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي ، المعروف بابن القبيصي ، التتمة في التصريف ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ط 1414 ، 1993 ص 28 ، محمود عكاشة ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة " دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية " ، دار النشر للجامعات – مصر – ط 1 ، 2005 ، ص 61
- 38 - ابن جني ، الخصائص ، تح محمد علي النجار ج 1 ، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت – لبنان ج 1 ط 2 (د.ت) ص 224
- 39 - المصدر نفسه ص 227

- 40- فندريس اللغة، تر: عب الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، القاهرة ، 1950 ، ص 104
- 41- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ضوابط المعرفة ، دار القلم – دمشق - ، 1993 ، ص 20
- 42- ابن هشام الأنصاري، نكتة الإعراب ، تح : غازي مختار طليمات ، دار طلاس – دمشق – 1996 ، ص 36
- 43- المرجع نفسه ص ، 38 ،
- 44- ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وسعيد الفغاني ، بيروت – لبنان – ص 491
- 45- ابن هشام الأنصاري ، المباحث المرضية المتعلقة بمن الشريطة ، تح : مازن المبارك ، دار ابن كثير – دمشق – 1987 ، ص 50
- 46- وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الاسمية.
- 47- سور النور الآية ٣٤م
- 48 - فخر الدين قباوة ، إعراب الجمل وأشباه الجمل ، دار القلم العربي للطباعة والنشر والتوزيع – سورية – ط 5 ، 1979 ، ص 20